ازدواجيّة المنطق المتناقض في التربية وأثرها في سلوك أبنائنا

سليم سعداني

جامعة الوادي

ربما يبدو للوهلة الأولى عند قراءة العنوان، أن هناك تضادا بنيويا في وصف المنطق بالتناقض، ذلك أن من تعاريف المنطق «آلة قانونية تعصم مراعاتها الذّهن من الخطأ في الفكر»[1] وهو «علم يبحث فيه عن القواعد العامة للتفكير الصّحيح»[2]، وهنا ربما نتسلّل إلى إحدى أهم أفكار ميشال فوكو، والتي تجعل من قوة سلطة ما حقيقة مفروضة على مستوى التفكير الخاص أو التفكير الجماعي، والذي جعل من ذلك المفروض حقيقة، ليس المنطق، إنّما تلك السّلطة، ولا ينبغي أن نفهم من لفظ (السلطة) القوى المسيّرة لنظام حكم ما، بل كلّ ما يفرض نفسه في الواقع كقّوة، ومن ذلك بدا لي أن من أخطر وأدق ما يصيب مجتمعنا من تصرفات ذات طابع متناقض، في أغلب سلوكاتنا هو ناتج عن فكر (تفكير) متناقض، ولهذا الفكر جذور ذات علاقة بالتربية، وفي هذا المقال نسعى لتتبع اركيولوجي لهذا (الخلل) من نموذج حساس في مجتمعنا له علاقة بالدين، وذلك من خلال منهاج التربية الاسلاميّة المعدّ لتلامذة المدرسة الابتدائيّة، وأثره في الواقع.

بدءا نودّ أن نشير إلى الدّاعي لمثل هذا البحث، ذلك أنّنا عندما نلقي نظرة على مقررات المدرسة الابتدائية في مادة التربية الإسلامية نجدها تزخر بعناوين مختلفة، سواء كان ذلك في العبادات أو العقائد أو السلوكات، والتي تمثل الخطاب الديني في المدرسة الابتدائية وذلك بدءا من السنة التحضيرية إلى نهاية السنة الخامسة، كما تعزز بعض المواد والأنشطة الأخرى هذا الخطاب كمادة التربية المدنية، وأنشطة اللغة من خلال بعض نصوص القراءة، المحفوظات وغيرها، لكن

هل السلوكات التي نعايـــــــــنها يوميا من قبل أبنائنا في المجتمع تعكس طموحات هذا المقرر؟ إلام مردّ هذا الواقع؟ أهو نوعية المقرر؟ أم طريقة تقديمه؟ أم هو دور المجتمع؟ هذه الأسئلة وغيرها هي ما نودّ رصده والإجابة عنه في هذا المقال.

بين التّربية والفطرة:

يكون من المفيد استشفاف المعاني اللغوية للتربية، حتّى يتسنى لنا تصور مجمل المدلولات التي توحي بها، فقد جاء في لسان العرب هذه المعاني للجذر **ربب و ربا:**[3]

- رَبا الشيءُ يَرْبُو رُبُوّاً ورِباءً: **زاد ونما.**
- وأَرْبَيْته: **نَمَّيته.**
- وقوله عز وجل في صفةِ الأَرضِ: اهْتَزَّتْ ورَبَتْ؛ قيل: معناه **عَظُمَتْ وانْتَفَخَتْ.**
- والرَّبْوُ والرَّبْوَةُ والرُّبْوَةُ والرِّبْوَة والرَّباوة والرُّباوة والرِّباوَة والرَّابِيَة والرَّباةُ: كلُّ **ما ارْتَفَعَ من الأَرض ورَبا.**
-
- رَبَّــبها: **نَمَّاها، وزادَها، وأَتَمَّها، وأَصْلَحَها.**
- أَرُبُّه رَبّاً ورُبّاً، ورَبَّبْتُه: **متَّنْتُه.**

نلاحظ أنّ هذه التعاريف تحمل عدّة معان تسعى التربية لتحقيقها وهي:(الزيادة والتّمام والإصلاح والتّمتين والنّمو والارتفاع...).

و التربية اصطلاحا" عملية تضم الأفعـــال والتـــأثيرات المختلفـــة التـــي تســـــــــــتهدف نمو الفرد في جميع جوانب شخصيته، تسير به نحو كمال وظائفه عن طريق التكيف مع ما يحيط به ومن حيث ما تحتاجه هذه الوظائف مـــن أنمـــاط سلوكوقدرات." [4]

وإذا أنعمنا النظر في هذا البعد لأثر التربية وجدنا لها سلطة على صناعة الإنسان لا تملكها أيّ سلطة أخرى، إذ يكفى أن نقارن بينها وبين ألصق ما يرتبط بالإنسان– أقصد بذلك المكتسبات الفطريّة– فللتربية القدرة على أن تغيّر ما هو فطريّ فينا، يقول الرّسول ﷺ: "ما من مولود إلاّ يولد على الفطرة، فأبواه يهوّدانه وينصّرانه كما تنتجون البهيمة هل تجدون فيها من جدعاء حتّى تكونوا أنتم تجدعونها."[5]

وإبرازا لقيمة التربية، يكفي أن نعود قليلا بالذاكرة إلى الوراء، ونلاحظ القيمة الكبرى التي أولاها الغرب لها، ذلك أيّام الحرب الباردة – مثلا – لما تمكّن الاتحاد السوفياتي من الخروج للفضاء لأول مرّة سنة 1961 بمركبة (vostok1) تحمل الضابط (يوري غاغرين) لمدّة 1سا و48د. عندها قامت الولايات المتحدة بدراسة الملف وكان حينها (جون كيندي) رئيسا، فما كان من مجلس الشّيوخ إلاّ أن توجّه إلى المدرسة مباشرة، ليراجع نظام التّدريس وليغيّره جذريا حسب المتطلّبات الجديدة، فمحطّ الأنظار أغلب الأحيان يكون على المدرسة وهذا يدعونا لإلقاء نظرة على المنهاج الذي أعدّته السّلطة الوصيّة، للمدرسة الابتدائية في مجال التربية الإسلاميّة، والذي يتكون من (الأهداف، المحتوى، التقويم) [6]

وسنعرض لهذه العناصر الثلاثة مختصرة، بدءا بنظرة عامة على الأهداف، ثمّ المحتوى من خلال المشاريع الموزّعة على السنوات الابتدائية، أمّا التّقييم فسندرسه من خلال بعض السلوكات العملية للطفل، وذلك في مجال المعاملات، لا العبادات وسنعلل سبب هذا الاختبار لاحقا.

– أولا الأهداف :

تهدف التربية الاسلامية في المدرسة الابتدائية عموما إلى إكساب المتعلم المستوى العلمي والخلقي الذي يمكنه من الحد الأدنى في شتى مجالات تعلم مادة التربية الإسلامية. ففي السنتين الأولى والثانية يكون قد مرّ المتعلم بطور التلقين، ويدخل طور التعميق في السنة الثالثة ابتدائي، فيتوسع في مفهوم الإيمان من أجل ترسيخ المبادئ الأساسية للعقيدة الإسلامية، ويضيف إلى ما حفظه في السابق بعض السور من حزب سبح، ومجموعة من الأحاديث النبوية الشريفة، ويتعرّف على بعض

أحكام الطهارة والصلاة بما يناسب سنّه، ويقف على محطات من سيرة النبي ﷺ من الميلاد إلى البعثة، وتراجم بعض الصحابة، وقصتي آدم ونوح عليهما السلام، إلى جانب جملة من الآداب والأخلاق والسلوكات المُكرِّسة للقيم الإسلامية.[7] وترسم السلطة الوصيّة عادة ملمحا لما ينبغي أن يحقّقه التلميذ في كلّ سنة، وكمثال لذلك هذه بعض الملامح المتوقعة نهاية السنة الخامسة من التعليم الابتدائي، وهي أن يكون التلميذ قادرا على: [8]

1. القراءة السليمة والاستظهار الصحيح للقدر المحفوظ من القرآن الكريم من سورة "البلد" إلى سورة "الأعلى" والأحاديث النبويّة المقررة وشرحهما شرحا صحيحا يتناسب مع المستوى العقلي للمتعلّم.

2. العمل بمقتضى الإيمان باليوم الأخر والقضاء والقدر وتمثل آثارهما النفسية والخلقية والاجتماعية.

3. معرفة بعض أحكام العبادات كالحج وزكاة الفطر ومظاهر اليسر في الصّلاة والحكمة التربّوية والأخلاقية من تشريعهم.

4. التحلي بخصال النّبي صلى الله عليه وسلم، من خلال معرفة محطات من سيرته صلى الله عليه وسلم وسير بعض الصحابة رضوان الله عليهم.

5. التخلق بجملة من الآداب والأخلاق المستمدة من القران والسّنة.
6. ولتتحقّق هذه الأهداف لابد أن يختار لها محتوى مناسبا، للمتلقي (وهو التّلميذ). وهذا يدفعنا لألقاء نظرة على المحتوى.

والذي يعنينا ممّا سبق هو الملمح العملي التّطبيقي، المرجو تحقيقه من خلال الأهداف المسطّرة، والذي سيترجمه سلوك التّلميذ في الواقع، وهو متعلّق بالنقطتين، الخامسة والسّادسة، من الملامح السّابقة، وحتّى تتحقّق هذه الأهداف المرجّوة، تُكلّف

لجان متخصّصة لإعداد المادة التي تُقترح لتكون وسيلة تحقيق ما تمّ برمجته وتسطيره، ويتمثّل ذلك في المحتوى.

ثانيا محتوى التربية الإسلامية:

المجـــالات							
القرآن الكريم	الحديث الشّريف	العقيدة	الفقه(العبادات)	الأخلاق والسّلوك	السّيرة النّبوية	القصص	من حياة الصحابة

المجالات تقسم حسب مشاريع على السنوات				
مشاريع السّنة الأولى	**م/ السّنة الثّانية**	**م/ السّنة الثالثة**	**م/ السنة الرّابعة**	**م/ السّنة الخامسة**
أنا مسلم. واجباتي كمسلم. أخلاقي كمسلم القرآن الكريم والحديث[9]	أنا مسلم. واجباتي كمسلم. أخلاقي كمسلم القرآن الكريم[10]	أعرف ديني أهذب نفسي أحب أسرتي أحترم غيري[11]	أعرف ديني أهذب نفسي أحب أسرتي أحترم غيري[12]	أطيع ربّي من واجباتي من أخلاقي من حياة الرسول(ص)[13]

يتكوّن محتوى التربية الإسلامية في المرحلة الابتدائية ممّا يلي :[14]

مجموعة من المجالات، توزّع على عدّة مشاريع، وكلّ مشروع يقدّم من خلال مجموعة من النّصوص، يمكن أن يتّضح ذلك من خلال الشّكل الموالي:

كلّ مشروع من هذه المشاريع، يقدّم من خلال مجموعة دروس متفاوتة العدد، حسب السّنة ونوعيّة المشروع.

-مثال لتوزيع الدّروس على المشاريع للسنة الرّابعة:

المشروع (1)أعرف ديني.	**المشروع (2)أهذب نفسي.**
1. من أركان الايمان (الايمان بالله) 2. من أنواع الصدقة. 3. من شعائر ديني. صلاة العيدين. 4. الاخلاص لله. 5. بداية دعوة النّبي.ص. 6. أول من اسلم من الاطفال. سورة الليل.	1. من أركان الايمان –الايمان بالملائكة. 2. الجمال في الاسلام. 3. من صفات المسلم. 4. الصوم. 5. الجليس الصالح. 6. موقف قريش من الدّعوة. 7. نبي الله يونس عليه السلام. سورة التين
المشروع (3)أحب اسرتي.	**المشروع (4)أحترم غيري.**
1. أدعو إلى الله. 2. الاسلام يوصي بالاقارب 3. من اركان الايمان – الكتب والرسل-. 4. سيدنا صالح عليه السلام. الضحى والشرح.	1. من فضائل العفو. 2. حق المسلم على المسلم. 3. الزكاة. 4. اتجنب السلوكات السيئة. 5. الفاروق عمر رضي الله عنه. الشمس.

وهنا ينبغي أن نشير ونذكّر أنّ مادة التربية الإسلامية بما فيها من أهداف مسطرة، ليست هي النّشاط الوحيد الموكل إليه ترسيخ تلك الأهداف لأنّ "التربية الدينية الاسلامية ترتبط بحياة المسلم، ولها علاقة بمشكلاته ومشكلات مجتمعه في المجالات الطّبية والاقتصادية والاجتماعية...ومن ثمّ يمكن أن نكامل بين التربية الدينية الإسلامية وبين المعارف في المجالات الأخرى"[15] لذلك سنجد مواد غير التّربية الإسلامية تساهم في ترسيخ المبادئ الدّينيّة لعلّ أهمّها تلك النّصوص المختارة للقراءة، فالقراءة وإن كانت "أسلوب من أساليب النّشاط الفكري، وهي عملية يراد بها إيجاد صلة بين لغة الكلام والرّموز الكتابية، وتتألّف لغة الكلام من المعاني والألفاظ التي تؤدي هذه المعاني." [16] غير أن هذه العملية (القراءة) التي تهدف لتعليم النّاشئة هي في الواقع بمثابة الماء الذي يرتوي به العطشان، وفي الوقت نفسه يمكن أن نذيب فيه قرص دواء لمعالجة مرض ما، فإذا كانت مهارة القراءة متمثّلة في الماء، فقرص الدّواء هو تلك المعاني التي يحملها النّص المقدّم.

كما يمكن أن نجد في نشاط المحفوظات والأناشيد، أهدافا وجدانية تدعو لتنمية السلوك وتصحيح التّصرفات، والحال ذاته في مادّة التربية المدنية التي تعنى ببث الحس المدني، وهو في مجمله من أخلاق الإسلام.

ذلك ما تعلّق بتعددّ المصادر وتنوعها والتي تُعدّ روافد ومكمّلة لمادة التربية الإسلامية وليس التعدد في المصادر فقط بل في الأماكن كذلك، فالتربية بصفة عامّة والتربية الإسلامية بصفة خاصّة "لا تقتصر على مكان دون الآخر، فهي تتمّ في المدرسة والمسجد والشّارع ...وكلّ إنسان في هذه التّربية معلّم طالما كان لديه ما يعطيه" [17] لذلك ليس المعلم إلا واحدا من مؤثرات عديدة تحيط بالتلميذ، فالأسرة والمجتمع والأقران ووسائل الإعلام من تلفاز وإذاعة و غيرها، كلها لها دور لا يقل عن دور المدرسة بل دورها أساسي أكثر من دور المدرسة في هذا المجال، ولعل هذا ما قصده الفيلسوف Egger* بقوله:"العمر الذي مازال الطفل فيه بدون معلم بمعنى الكلمة، قد يكون هو العمر الذي يتعلم فيه أكثر وأسرع "[18] وهذا يعني أن فرصة الطفل في التعلم تكون أكبر عندما تكون رغبة التعلم هي إرادته ومتعته الخالصة،

ويمكن أن نقيس هذا على أنفسنا.فما نريده ونهواه لا نمله وإن طال، ونتعلمه بينما ما يريده لنا غيرنا، إن صادف هوانا ملنا إليه.و إلا رفضته نفوسنا و حادت عنه.

ممّا سبق تكون روافد تهذيب سلوك التلميذ متعدّدة، وتحديد لفظ (سلوك) له قيمة لأن الذي يعنينا من التربية ككل هو تكوين الإنسان الذي لا يمكن الحكم على تطوره أو عكس ذلك إلّا من خلال سلوكه، يقول الرّسول صلى الله عليه وسلّم" إنّما بعثت لأتمّم مكارم الأخلاق"[19]، فتلك الروافد إذن عديدة، اِنطلاقا من البرنامج المدرسي، من خلال مقرّره الرّسمي للمادة، وللمواد المساعدة، ثمّ من خارج المدرسة بما تقوم به الأسرة من توجيه، والمساجد في أغلب البلاد الإسلامية، وربّما غير ذلك من برامج القنوات المتخصّصة.

هنا يمكن أن نطرح السؤال الموالي والذي يُعدّ محور هذا البحث، **ما مدى نجاح هذه العملية التربويّة؟ وكيف كان فعلها على الطّفل؟**

ثالثا التقويم: لو أعدنا النّظر في المخطّط السّابق للمشاريع المبرمجة للمدرسة الابتدائية لوجدنا أغلبها يهتمّ بالمعاملة والخلق، لهذا أقترح تحديد ثلاث نقاط عامة وظاهرة يمكن أن يعاينها أيُّ شخص و نعتبرها عمليّة التقويم:

- **طبيعة كلام أطفالنا:** الألفاظ النّابية، عند اللعب أو التّشاجر، خاصة في الشوارع والطّرقات.
- **نظافة المحيط ودور الطّفل فيه:** يمكن ببساطة العودة في أي وقت إلى الشوارع التي يسلكها أطفالنا، أثناء الذّهاب والإياب إلى ومن المدرسة، لنرى عدد الأكياس التي كانت تحمي بعض المأكولات، وكيفية تناثرها هنا وهناك، أو قشور الفواكه وعلب الياغورت بعد الخروج من المطاعم المدرسية.
- **العنف المدرسي، وغير المدرسي:** التشاجر الدّائم بين الأطفال عند اللّعب أو عند العودة من المدرسة، وشبيه ذلك العنف الذي نشاهده داخل المتوسطات والثانويات، وعير بعيد عن ذلك العنف في الملاعب.

يبدو جليا أن هذه القضايا الثلاث لا تحتاج للتدليل عليها، كونها ظاهرة تسود مجتمعاتنا، وإشكال يعرفه الخاص والعّام، ولا أدلّ على تأزم هذه القضايا، شعور السلطة بذلك إذ توجّهت للمدرسة الابتدائية هي أيضا، لمعالجة الوضع فخصّصت نشاطا جديدا في حالة استثنائيّة سنة 2008 هذا النّشاط الموسوم ب(نشاط التربية الخلقية)، وهي شبه حصّة (فرضت) يوميّا في بداية الفترة الصّباحيّة مدّتها 15 دقيقة، جاء في مقدّمة الوثيقة المنهجيّة لهذا النّشاط ما يلي: " تتعرض المجتمعات في الدول النامية في هذا العصر إلى موجة من الهزّات الأخلاقية المتتابعة والتي تتمثل في مظاهر مختلفة من الممارسات وأنماط السلوكات الفردية والجماعية والتي تسلب الأفراد والجماعات السعادة، وأحيانا الأمن والاستقرار...يجمع الكثير من الباحثين في جامعات العالم على أن المسؤوليّة في ذلك تقع على عاتق التربية الحديثة التي اهتمت بوسائل الحياة أكثر من اهتمامها بالغايات والمقاصد."[20]

إنّ ما جاء في الفقرة السابقة وضع حقيقي، ومردّه للتربية مردّ صحيح، لكن لا ينبغي أن نفهم من لفظ التربية (المدرسة) بل كلّ ما يحيط بالمتعلّم في أي مكان وأي زمان. وما جاء في الفقرة يؤكّد الوضع الذي آلت إليه حال السلوكات في المجتمع، هذا الذي دعا السلطة لاستحداث هذا النّشاط ولنتأمّل بعض الأهداف المسطّرة له.

- تزويد المتعلم ببعض المفاهيم المتعلّقة بتهذيب السّلوك.
- تمكين المتعلّم من العزوف عن بعض التّصرّفات الخطرة.
- معرفة القواعد الأساسية في المحافظة على الصّحة والأمن والبيئة.
- تهذيب سلوكات المتعلمين.
- ترغيبهم في التحلي بالقيم الأخلاقية واستهجان الأخلاق الذّميمة.
- غرس فضائل الحب والاحترام والعطف والتّوقير لديهم.

لا يحتاج القارئ لتمعن كبير حتّى يدرك أن جميع هذه الأهداف سلوكية، لا تتعلّق بالعبادات، فهل أثمرت هذه الحصص؟

للأسف، لا. لذلك تراجعت الوزارة عن هذا النّشاط ولم يدم أكثر من ثلاث سنوات، والجدير بالذّكر أن كل محتويات التربية الخلقية المستحدثة تجدها مبثوثة منذ زمن وللآن في المقرّرات، سواء في التربية الإسلامية أو المواد المكمّلة لها.

وهذا يدعونا لطرح السّؤال الثاني ، **ما هي أساب عدم نجاح هذه العملية التربوية؟**

ورد في كتاب (**مدخل لعلوم التربية**) تحديد أسباب الفشـــــل في تحقيق الأهداف وكان مردّها إلى عدة نقاط منها.[21]

1. أسباب تتعلق بالطالب نفسه.
2. أسباب تتعلق بالمعلم.
3. أسباب تتعلق بالتفاعل بين المعلم والتلميذ.
4. أسباب تتعلق بالطرق والوسائل المستعملة،في تحقيق الأهداف.
5. أسباب تتعلق بالأهداف نفسها.
6. أسباب تتعلق بتنظيم وتسيير المؤسسات التعليمية.

هذه الأسباب لو تأملناها لوجدنا أنها ذات تأثير فردي أي لا يمكن أن تكون ظاهرة عامة، بمعنى آخر قد تكون سببا في فشل مجموعة ما دون أخرى، هذا باستثناء الأسباب المتعلقة بالأهداف التي يمكن أن يكون لها تأثير شامل، والواقع أن الأهداف المسطرة للتربية الإسلامية، سليمة وثريّة، كما رأينا، لذلك يبقى السؤال مطروحا، لماذا لم تثمر الأهداف المبرمجة لترقية سلوك الطّفل؟

إنّ محاولة تغيير سلوك ما أمر ليس بالهيّن، كون السلوكات جزء من ثقافة المجتمع، جزء من عاداته وتقاليده، هي الجزء المعنوي من المجتمع، وهذا النوع من الثّقافة "تطوّره أبطأ بكثير من العنصر المادّي...وهنا يكون دور المنهج كبيرا في صلاح (الفجوات الثقافية) بأخذها بنظر الاعتبار والتّعامل معها."[22]

والإشكال القائم اليوم أن المناهج المقدّمة، ليست مسلّحة لا بقوى معنويّة ولا ماديّة لمقاومة أثر المجتمع في التّربية، وهذا هو الجذر الأول المتسبب في فشل العملية التروبية، بإحداث ما يمكن تسميته ازدواجيّة المنطق المتناقض:

ازدواجيّة المنطق المتناقض:

المقصود بازدواجية المنطق المتناقض أن يتلقى التّلميذ أو يلاحظ أو يستنتج واقعين يفترض أن يكونا منسجمين لكن يحدث العكس ولابدّ للتلميذ من تقبّلهما معا وهما متناقضان. وهنا أذكر مقولة برتراند راسل (Bertrand Russell) " الناس تولد جاهلة لكن ليست ساذجة، إنّها التّربية ما تجعلهم سذّجا"

ولنأخذ أمثلة عن ازدواجية المنطق المتناقض:

- <u>المنطق المتناقض بين التقاليد ذات الأصل الدّيني وبعض الدّروس:</u>

المثال نص- من رأفة الفقراء-.[23] نص لجبران خليل جبران- بتصرف-

- العنوان قد يكون المقصود منه فعلا (من رأفة الفقراء)، أي إضافة الرّأفة للفقراء، وفي هذه الحال يحمل النّص انزياحا معنويّا، غريبا عن واقع التّلميذ المعتاد إذ الفقراء من في حاجة للرّأفة في الأصل، وهنا لا يمكن أن نفكّ سرّ هذا السّياق إلا بالتّعرف على النّص الأصلي للكاتب دون تصرّف وقد يكون وقع سوء تصرف لغوي ويكون العنوان: (من الرأفة بالفقراء). وفي هذه الحالة أيضا، يبقى هناك خلل، إذ لا يثبت النّص أن الفتى الذي تعاملت معه الأرملة وابنتها كان فقيرا في أيّ جزء من النّص وليس هذا هو الشّاهد إنّما ما يلي:

لغة النّص راقية ورائعة، وماذا عسى أن نقول في كتابات (جبران خليل جبران)، الحبكة والجاذبية، والتّسلسل في القصّة جدّ مشوّق، لكن البعد الدّيني يناقض طبيعة ميول أطفالنا الدّيني وطبيعة تقاليدنا يقول الكاتب:" **حملت المرأتان الفتى** ولمّا

وصلتا إلى الكوخ وضعتاه بجانب الموقد **وأخذت الأمّ تدلك أعضاءه المتجمّدة...**"[24] فمن من أطفالنا يتصور أن امرأة من مجتمعنا تُدخل مع ابنتها فتى غريبا لبيتهما وتأخذ في تدليك أعضائه، علما أن هذا الموقف جدّ إنساني ومقبول في مجتمع غير مجتمعنا.

- **المنطق المتناقض في الاستدلال في نفس النّص:**

في كتاب التربية الإسلاميّة للسنة الرّابعة درس بعنوان (الإيمان بالملائكة) الكفاءة المستهدفة منه هي القدرة على التعريف بالملائكة، وذكر صفاتهم ومكانتهم عند الله.[25] جاء في النّصّ ما يلي:

"يؤمن المسلم بكل ما جاء في القرآن الكريم، كالإيمان بوجود الملائكة الذّين خلقهم الله من النّور، وهم يعملون الخير ويطيعون الله في كلّ ما أمرهم به ولا يعصونه أبدا، ويسبّحون له بالليل والنّهار ولا يسأمون من عبادة الله عزّ وجلّ." [26] ثم تتواصل الفقرة لتدعّم ما سبق بما يلي: "قال الله تعالى **(إنّ الذين لايؤمنون بالآخرة ليسمّون الملائكة تسمية الأنثى)...**" [27] من المعلوم أن الآية في مثل هذا الموضع الغرض منها دعم المعنى أو الاستشهاد بها، لكن ما علاقة ما ذكر عن الملائكة في طاعتهم لله وعدم المعصية وعبادتهم المستمرة، بالآية المستشهد بها. وهناك آيات من الذكر الحكيم تصلح أن تكون شاهدان لترسيخ المعنى المراد من الدّرس، فكأن من كلّف بالبحث عن الاستشهاد من القرآن الكريم كان غاية همّه أن يجد آية بها لفظ الملائكة دون النّظر إلى مناسبة سياقها لسياق الدّرس.

- **المنطق المتناقض بين الدّرس وخلاصته:**

ومثال ذلك من كتاب السّنة الرّابعة للتربية الإسلامية كذلك في درس بعنوان (بداية دعوة النّبي صلى الله عليه وسلّم) يتحدّث نصّ الدّرس عن بداية الدّعوة وما لاقاه المؤمنون من عذاب، لكن نجد ملخصّ الدّرس والذي يعنون بـــ: **أتذكّر**. ما يلي: " دخل النّاس في الإسلام أفواجا بعد فتح مكّة لأنّ الرسول كان صادقا في قوله أمينا في فعله ولأنّهم وجدوا في الإسلام دين الحرّية والأخوة والعدالة". هذا وكأن الدرس فتح مكّة.

- **المنطق المتناقض لقضيتين تعليميتين والواقع:**

ومثال ذلك أن يدرس التّلميذ قضيّتين سليمتين يناقضهما الواقع: وهذان مثالان من كتاب التلميذ للسّنة الرّابعة في التّربية الإسلاميّة:[28]

الدرس الأول بعنوان(الإسلام يوصي بالأقارب) وفيه استشهاد بآية وهي ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴾ النّحل الآية 90.

الدّرس الثّاني بعنوان (أدعو لوالديّ) وفيه وجوب طاعة الوالدين، وتنفيذ أوامرهما وإدخال الفرح إلى قلبيهما.

لكن الإشكال الذي يقع فيه عدد غير قليل من التّلاميذ، أن بعض المشاكل تقوم بين الأبوين من جهة والجيران والأقارب من جهة أخرى، فيطلب الوالد مثلا من ابنه أن لا يلعب ولا يكلّم ابن جاره، فيجد التلميذ نفسه مجبرا على أن يلغي أحد مفهومي الدّرسين، فلابد أن يعادي من عاد أبويه وهو مأمور بوصلهم، أو أن يخالف أبويه فيما اختاراه.

والأمر نفسه بأمر التلميذ باحترام قوانين النّظافة من جهة، واحترام الكبير من جهة أخرى، لكن التلميذ يجد الكبير الذي ينبغي أن يطيعه ويحترمه، في الواقع يساهم في رمي الأوساخ في الطّرقات.

لقد أثبتت التجربة أنّ تنمية سلوك ما لا يكلّ بالنّجاح، ما لم يكن هناك المثال المقتدى، هذا لتنمية سلوك، أما لتغيير سلوك بسلوك آخر فالأمر أدعى لقدوة حاضرة باستمرار، إنّ أوضح وأسلم رسالة هي رسالة التّوحيد، وهي في الواقع فطرة الله التي فطر النّاس عليها رغم ذلك لم يرسل الله إلى قوم رسالة إلاّ وجعل المرسَل من أولائك القوم وكانوا على معرفة بخُلقه قبل إرساله، ولنتأمّل ما قاله جعفر بن أبي طالب للنّجاشي وهو يعرّفه بالدّين الذي اعتنقوه:" أيها الملك، كنا قومًا أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، يأكل القوي منا الضعيف، فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولاً **نعرف نسبه وصدقه، وأمانته وعفافه، فدعانا** إلى الله لنوحده ونعبده، ونخلع ما كنا نعبد وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان **وأمرنا** بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء **ونهانا** عن الفواحش، وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنة، **وأمرنا** أن نعبد الله وحده، لا نشرك به شيئًا، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام ... **فصدقناه وآمنا به، واتبعناه** على ما جاء به. فعبدنا الله وحده، فلم نشرك به شيئًا، وحرمنا ما حرم علينا، وأحللنا ما أحل لنا"[29]

إنّ في هذا الحديث سرّ نجاح تربية الرّسول صلى الله عليه وسلّم، وقلب ماكان عليه أصحابه من النّقيض إلى النّقيض، فقد تحدّث سيدنا جعفر عمّا كانوا عليه من سوء الخصال، ولم يقل جاءنا رسول فأمرنا، بل قال (بعث الله إلينا رسولاً **نعرف نسبه وصدقه، وأمانته وعفافه، فدعانا...وأمرنا... ونهانا...**) فقد سبق الدّعوة والأمر والنّهي، معرفة بالنّسب والصّدق والأمانة والعفاف، فكانت النّتيجة (**فصدقناه وآمنا به، واتبعناه...** وحرمنا ما حرم علينا، وأحللنا ما أحل لنا).

إنّ هذا ما لا يجده الطّفل، بل يجد أغلب الأحيان العكس، وهذا ما يولّد ازدواجية المنطق المتناقض وهو المسؤول على الوضع السلوكي الحالي في المجتمع، و هذا هو التّبليد بعينه، قد يرى البعض أن هذا أمر هيّن، قد يبدو هيّنا، وأذكر هنا مقولة الفيزيائي الأمريكي (لورنس) لمّا قال: ((ربّ خفقة جناح بوعضة في الزّمن الحاضر ينتج عنها إعصار بعد حين)). ولعلّ ما نجنيه اليوم، نتاج ما حسبناه هيّنا قبل زمان.

الهوامش

[1] – الشريف الجرجاني، معجم التعريفات، تح محمد الصديق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة، دط، 2004م، ص196.

[2] – عبد الهادي الفضلي، مذكرة المنطق، مؤسسة دار الكتاب افسلامي، دط، 1409هـ، ص 17.

[3] – ابن منظور، لسان العرب، تح، عبد الله الكبير وآخرون، دار المعارف، دط، 1981م، ص1573/1550/1549

[4] – فريدة شنان، مصطفى هجرسي، المعجم التربوي، المركز الوطني للوثائق التربوية، الجزائر،2009م، ص48–49.

[5] –أخرجه الامام البخاري، في صحيحه، كتاب القدر باب الله أعلم بما كانوا يعملون، الحديث 2599، الجزء3، اعتنى به أبوعبد الله محمود بن جميل،ط2002،1م،ص266.

[6] – ينظر،سعدون محمود الساموك، هدى علي جواد الشمري، مناهج اللغة العربية وطرق تدريسها، الأردن: دار وائل للنشر والتّوزيع، ط1، 2005م، ص106.

[7] – ينظر، منهاج التربية الاسلامية س 3.

[8] – ينظر، وت و، منهاج السنة الخامسة من التعليم الابتدائي،الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية،2011م،ص27.

[9] – ينظر، وت و ،دليل المعلم للسنة **الأولى** ابتدائي،الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية،2012م،ص25.

[10] – ينظر، وت و ،دليل المعلم للسنة **الثانية** ابتدائي،الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية،2012م،ص23.

[11] – ينظر، وت و ،دليل المعلم للسنة **الثالثة** ابتدائي،الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية،2012م،ص24.

[12] – ينظر، وت و ،دليل المعلم للسنة **الرابعة** ابتدائي،الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية،2012م،ص21–22.

[13] – ينظر، وت و ،دليل المعلم للسنة **الخامسة** ابتدائي،الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية،2012م،ص25.

[14] – ينظر، وت و ، الوثيقة المرفقة للسنة الثانية ابتدائي،.....ص،..

[15] – فتحي علي يونس، و آخرون، التربية الدينية الاسلامية بين الأصالة والمعاصرة، مصر: عالم الكتب، ط1999،1م، ص142.

[16] – طه علي حسين الدليمي، سعاد عبد الكريم الوائلي، تدريس اللغة العربية، الأردن: دار الشّروق للنشر والتّوزيع، ط2003،1م، ص103.

[17] – إبراهيم ياسين الخطيب، أحمد محمد الزبادي، صورة الطّفولة في التّربية الإسلاميّة، عمّان: مكتبة دار الثّقافة، ط2000،1م، ص 17.

*Victor Egger 14février 1848 à Paris – 19février 1909 était un philosophe français.

[18] Sherbiniere-lebert-Ccharrier.La pédagogie vécue à l'école des petits. Paris:Fernand nathan.1966,p159.

[19] – الأمام البخاري، الأدب الفريد،نح محمد فؤاد عبد الباقي، القاهرة: المطبعة السّلفية، الحديث رقم273،ص 78.

[20] – وت و ، نشاط التربية الخلقيّة، الديوان الوطني للمطبوعات المدرسيّة،2008م، ص2.

[21] انظر، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، مدخل لعلوم التربية، الجزائر: الديوان الوطني للتعليم والتكوين عن بعد، دط، 2006م، ص19.

[22] – سعدون محمود الساموك، منهاج اللغة العربية وطرق تدريسها، ص114.

[23] – وزارة التربية الوطنية، كتابي في اللغة العربية (س5)، الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية،2012/2011 ص28

[24] – نفسه، ص29.

[25] – ينظر، منهاج السنة الرابعة، ص 56.

[26] – وزارة التربية الوطنية، كتاب التربية الاسلامية (س4)، الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية،2012/2011 ص20.

[27] – نفسه، ص20

[28] – ينظر، نفسه ص 38/36.

[29] – ابن هشام، السّيرة النّبوية،تح طه عبد الرؤوف،ج1، بيروت: دار الجيل،طبعة جديدة، 1975م، ص290.